المعرفةُ الفطريّةُ والمعرفةُ الاستدلاليّةُ في القرآنِ الكريمِ

رعد عبد أحمد
أ.د. محمد محمود زوين
كليّة الفقه / جامعة الكوفة

Innate knowledge and inferential knowledge in the Holy Qur'an

Raad Abd Ahmed
Prof.Dr. Muhammad Mahmoud Zuwayn
College of Jurisprudence / University of Kufa
Email: almoslyraadabbdahmed@gmail.com

ملخص البحث

يرتكز هذا البحث على أنَّ للإنسان هدايتان: هداية فطريّة وجدانيّة، وهداية نظريّة استدلاليّة عقليّة، ويستدل على أنَّ التوحيد الفطري أساس التشريع الإسلاميّ، كما يبرهن على أنَّ الهداية الاستدلاليّة العقليّة تعتمد على الهداية الفطريّة؛ ويبيّن أنّ هذه الخطوة هي الأولى في كشف معارف القرآن الكريم، وتبصُّر الإنسان بالحياة وحقيقتها وغاياتها، مما يفضي ذلك إلى أنّ الهداية الفطريّة هي البرهان الأعظم على وجود معارف المبدأِ والمعاد "يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِهِ بِذاتِهِ".

الكلمات المفتاحيّة: الفطرة، معرفة الله، التوحيد الفطريّ، التوحيد الاستدلاليّ.

Abstract

This study is based on the premise that human guidance comes in two forms: innate and conscientious guidance and rational deductive guidance based on rational reasoning. It argues that innate monotheism forms the foundation of Islamic legislation while also demonstrating that rational deductive guidance relies on innate guidance. The study highlights that this step is crucial in uncovering the knowledge within the Holy Quran allowing individuals to gain insight into life its essence and its objectives. Consequently innate guidance serves as the greatest evidence for the existence of the truths of the worldly life and the afterlife as stated in the Imam's saying: "He who guides to His essence through His essence.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

المُـقَدِّمَـةُ:

الحَمْدُللهِ رَبِّ العَالَمِين، والصَّلاةُ والسّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَفِيرِ وَحْيِهِ ونبيِّ رَحْمَتِهِ، وَعَلَى وَصِيِّهِ خَاتَمِ الولايةِ الإلهيّةِ المُطْلقةِ عليٍّ أَمِيرِ المُؤمنينَ، وَعَلى الأَئِمَةِ مِنْ بَعْدِهِ نُجُومِ سَمَاءِ العِصْمَةِ وَالهِدَايةِ أقمارِ الإمَامةِ وَالوَلايةِ، لَا سِيَّما خَاتَمِهِم صَاحِبِ العَصْرِ والزّمَانِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم مِنَ المَلكِ المَنَّانِ.

وبعدُ: فإنَّ الإنسان له هداية فطريّة وجدانيّة، وهداية نظريّة استدلاليّة، والهداية الفطريّة هي معرفةٌ ارتكازيّة تجري في أعماق الإنسان، وهي البرهان الأعظم على وجود معارف المبدأِ والمعاد، لا بعثة الأنبياء المشتملة على اللطف الإلهيّ، فالإنسان يولد وقد أُودعت في كيانه "غريزة معرفة اللهّ سبحانه وتعالى" والتوجه إلى ما وراء الطبيعة بشكلِ سرٍّ إلهيٍّ مزروع في أعماق البشر؛ إذ لو لم تنله يدٌ خارجيّة لنمت غريزة "الميل إلى معرفة اللهّ سبحانه وتعالى" في فؤاد الإنسان، ولما انحرف عن جادة التَّوحيد مطلقًا.

والقرآن الكريم ليس كتاب هدايةٍ فطريّة فحسب، بل كتاب استدلالٍ أيضًا، فيطرح كلامًا علميًّا استدلاليًّا بأدلةٍ دامغةٍ، فمثلًا يستدلُّ على أنَّ التعدد في خلق السماوات والأرض يقود إلى الفشل والفساد، وهذه المعرفة الاستدلاليّة تصدم المعرفة الفطريّة وتحرِّكها نحو المعرفة؛ وانطلاقًا من الأهميّة العلميّة الكبرى لهذا البحث في بيان معارف القرآن الكريم فقد جاءتْ هذه الدراسة في مبحثين:

المبحث الأوّل: المعرفة الفطريّة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: الدَلالة اللغويّة والاصطلاحيّة للفظ (الفطرة).

المطلب الثاني: منشأ المعرفة الفطريّة.

المطلب الثالث: "التَّوحيد الفطريّ"، أساس التشريع الإلهيّ.

المبحث الثاني: المعرفة الاستدلاليّة: كذلك فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آية ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ وأثرها في بيان التَّوحيد الاستدلالي.

المطلب الثاني: آيات الآفاق والأنفس وأثرها في بيان التَّوحيد الاستدلاليّ.

المطلب الثالث: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

المبحث الأوّل: المعرفة الفطريّة:

المطلب الأوّل: الدَلالة اللغويّة والاصطلاحيّة للفظ (الفطرة).

أولا: الدَلالة اللغويّة: كلمة "فِطْرَة" من "فَطَر" وهي في الأصل بمعنى "شقّ"[١]، كناية عن الخِلقة، من المَعْرِفةِ بالله سبحانه وتعالى، وإطلاق الفطر على الخَلْقِ؛ لأنّ الخالق يشق بطن العدم، ويستخرج منه "الشيء" الذي يريد خلقه وإيجاده، قال الراغب: "أصل الفَطْرِ: الشّقُّ طولًا، يقال: فَطَرَ فلان كذا فَطْراً وأَفْطَرَ هو فُطُوراً، وانْفَطَرَ انْفِطَاراً"[٢].

وقال ابن سيده: "فَطَرَ الشَيءَ يَفْطُرُه فَطرًا، وفَطَّرَه: شَقَّه، والفَطْرُ: الشَّقُّ، وجَمْعُه: فُطُورٌ"[٣]، والفِطْرَةُ: مَا فَطَرَ اللهُ سبحانه وتعالى عَلَيْهِ الخَلْقَ من المَعْرِفةِ بِهِ، وَالفِطْرَة: الخِلْقة الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا المَوْلُودُ فِيبَطْنِ أُمِّه وَبِه فَسَّر قولَه تَعَالَى: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النّاس عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[سورة الروم : ٣٠] وقولُه : "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ"[٤]، يَعْنِي: الخِلْقَةَ[٥].

وقد أجاد أبو هلال العسكريّ حين أفاد في بيان الْفرق بَين الْفِعْل وَالْفطر بِأَنّ الْفطر إِظْهَار الْحَادِث بِإِخْرَاجِهِ من الْعَدَم إِلَى الْوُجُود كَأَنَّهُ شقّ عَنهُ فَظهر، وأصل الْبَاب الشقّ، وَمَعَ الشق الظُّهُور، وَمن ثمَّ قيل: تفطر الشّجر إِذا تشقق بالورق، وفطرتُ الْإِنَاء شققته،

(١) انظر : العين (فطر): ٧ / ٤١٨ ؛ المقاييس (فطر): ٤ / ٥١٠؛ جمهرة اللغة (فطر): ٢ / ١٢٧ ؛ المفردات (فطر): ٦٤٠.
وانظر : صدر المتألّهين الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة: ٩ / ٩٦.
(٢) انظر : المفردات (فطر): ٦٤٠ ؛ وانظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (فطر): ٢ / ٧٨١.
(٣) المحكم والمحيط الأعظم (ف ط ر): ٩ / ١٥٤.
(٤) الكافي، بَابُ فِطْرَةِ الخَلْقِ عَلَى التَّوحيد: ٢ / ٢٠.
(٥) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (فطر): ١٣ / ٣٢٩.

وَفطر الله سبحانه وتعالى الْخلق أظهرهم بإيجادهم إيَّاهُم كَمَا يظهر الوَرق إِذا تفطر عَنهُ الشّجر، فَفِي الفطر معنى لَيسَ فِي الفِعل، وَهُوَ الإِظهَار بِالإِخرَاجِ إِلَى الوُجُود قبل مَا لَا يستَعمل فِيهِ الظُّهُور، ولَا يستَعمل فِيهِ الوُجُود، أَلا ترى أَنَّك لَا تَقول إِنّ الله سبحانه وتعالى فطر الطَّعَام والرائحة كَمَا تَقول فعل ذَلِك، وَالفاطر الْعَامِل للشَّيْء بإيجاده بِمثل الانشقاق عَنهُ[1].

وبالمجمل : إنّ كلمة "فاطر" هنا كناية عن "الخلق"، وقد استعملت في القرآن الكريم فيما انتسب إليه سبحانه وتعالى بمعنى الإيجاد بنوع من العناية، كأنّه سبحانه وتعالى شقَّ العدم شقًّا فأظهر من بطنه الأشياء، فالفطرُ هو الإيجاد عن عدمٍ بحت.

ثانيًا: الدَلالة الاصطلاحيّة: عندما نتحدث عن المعرفة الفطريّة فمرادنا تلك الإحساسات الداخليّة والادراكيّة بالوجدان نفسها التي لا تحتاج إلى أيّ استدلالٍ عقليٍّ.

فالمعرفة الفطريّة: "هي المعرفة الإنسانيّة التي تكون مخزونة في ذهن الإنسان ، وقد جُبل عليها وجُهّز بها منذ ابتداء إدراكه وتنامي وعيه، ولا تتوقّف على الاطّلاع على أدوات استدلاليّة أو إجراء أبحاث تخصّصيّة وشبهها"[2]، والمقصود بهذه المعرفة أنّ الإنسان ككائن جُهّز بالنَّمط الراقي من الإدراك، وهو التفكير والنّظر، وقد جُهّز معه بقواعد عامّة للنَّظر يجري عليها كلّ إنسان دون تكلُّف وتروٍّ زائدٍ في كلّ قضيَّةٍ من قضاياه التي يعيشها في تفاصيل حياته، فهذه القضايا هي المنطق الفكريّ للإنسان[3].

وقد أحسن الشيخ السبحاني حين أفاد بأنَّ الإنسان يولد وقد أُودعت في كيانه "غريزة معرفة الله" والتوجه إلى ما وراء الطبيعة بشكلِ سرٍّ إلهيٍّ مزروعٍ في أعماق البشر؛ إذ لو لم تنله يدٌ خارجيّة لنمت غريزة "الميل إلى معرفة الله" في فؤاد الإنسان، ولما انحرف عن جادة التَّوحيد مطلقًا، إلى درجة أنّ علماء النفس اعتبروا "الشعور الدِّيني" ، أو مظهريّة الدِّين في الذات الإنسانيّة، أو النمو الدِّينيّ ومنشأ التديّن لدى

(١) انظر: الفروق اللغوية: ١٣٤.
(٢) القواعدُ الفطريّةُ العامّة للمعرفةِ الإنسانيّةِ والدِّينيّةِ، السيستانيّ، محمد باقر: ٩٣ -٩٤.
(٣) ينظر : المصدر نفسه: ٩٤.

الإنسان، هذا أحد أبعاد الروح الإنسانيّة، ووصفوه بمثل هذا البعد؛ إذ يقولون بوجود علاقة تنافسيّة بين علم النفس والدِّين محورها سلوك الإنسان، فكلاهما يتناول نواحي السلوك والحياة ويشكِّل نظرة كونيّة شاملة عن طريق أيديولوجيته الخاصة ومنهجه المتبع، حتى أنّ أحدهم(١) يقول في تعريف الإنسان بأنّه: "حيوان ميتافيزيقي"(٢).

إنّ مما يؤيد المعنى المتقدم ما ينقله الشيخ محمد تقي الفلسفيّ عن عالم الفيزياء الألمانيّ الأصل "ألبرت أينشتاين" قوله: "إنَّ عقيدتي هي عبارة عن الحمد المتواضع الضئيل لروح فائقة لا حديّة" كما يحكي عن السويسريّ "جان جاك روسو" قوله: "ليس طريق الايمان بالله منحصرًا في العقل وشكوكه وأوهامه، بل إنَّ الشعور الفطريّ هو أفضل طريق لإثبات هذا الموضوع"(٣).

وربما كانت أهمّ كلمة مفتاحيّة في التعاليم الإسلاميّة هي كلمة "الفطرة"، بوصفها كلمة مفتاحيّة قرآنيّة؛ إذ إنّ هذه الكلمة تعني نوعًا خاصًّا من الخلق يكون بديعًا وغير مسبوق، وقد عمد بعض الباحثين إلى تطوير هذا البحث وإشباعه إلى حدّ ما، عبر استعماله لكلمة الفطرة المفتاحيّة، في ضمن المفردات الثلاثة المفتاحيّة والأساسيّة "ذات الأبعاد الثلاثة"، "الطبيعة"، و"الغريزة"، و"الفطرة"، بوصفها مادّة التمايز الذاتّي والحقيقيّ للأجسام والحيوانات والإنسان(٤).

وعلى ذلك : المعرفة الفطريّة نوعٌ من المعلومات المودَّعة في الإنسان المرتكزة فيه، وهذا يعني أنَّ للإنسان

مدركاتٌ يدركها بالفطرة، ومن هذا القبيل معرفة الله سبحانه وتعالى، فالتَّوحيد مُوَدّعٌ

(١) وهو الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (٢٢ فبراير ١٧٨٨ – ٢١ سبتمبر ١٨٦٠م)، الذي تبنّى نظامًا ماورائيًّا.
(٢) انظر : مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ٨٦.
(٣) انظر: الطفل بين الوراثة والتربيّة، الفلسفيّ، محمد تقي: ١ / ٢٣٧.
(٤) انظر: الفطرة بوصفها نظريّة أنثروبولوجيّة – رؤية لسجال منهجيّ مع العلوم الإنسانيّة الحديثة، حسين سوزنجي: العتبة العباسيّة المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيّة، https://iicss.iq/?id=40&sid=537

في فطرة الإنسان مجبولٌ عليه الإنسان بنظريّة الفطرة[١]، بمعنى الاستدلال على التَّوحيد عن طريق المشاهدة المعرفيّة الباطنيّة، والادارك الضروري الوجداني "المستوى الوجداني" الميسرَّ لعامّة النّاس قديماً وحديثًا؛ بما يقفون عليه من مشاهد الكون والحياة.

المطلب الثاني: منشأ المعرفة الفطريّة:

إنّ منشأ المعرفة الفطريّة ومبدأها المفطور عليه كلّ إنسان من آدمعليه السلام، ومَنْ بعده من أولاده وأولاد أولاده الى يوم القيامة هو: معرفة ذاته سبحانه وتعالى بذاته، كما ورد في دعاء الصباح المشهور عن أمير المؤمنينعليه السلام: "يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِهِ بِذاتِهِ"[٢]، وهذا مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[سورة آل عمران : ١٨]، وكما روى الكليني في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنينعليه السلام: "اعرفوا الله بالله"[٣]، وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سأله أحدهم: بم عرفت ربّك؟ فأجاب "بما عرّفني نفسه"[٤]؛ لأنَّ معنى ذلك: أنّه ليس في الوجود سبب لمعرفة الله سبحانه وتعالى إلّا الله سبحانه وتعالى؛ لإنَّ الكل ينتهى إليه، فالباء هنا للإلصاق والمصاحبة، أي: كل معروف بلصوق ذاته وماهيّته، ومصاحبتها لذات العارف[٥]، وهذا ما يسمّى عندهم بـ" برهان الصدّيقين" الذي يعد من أعظم البراهين وأسد الطرق ، وأنور المسالك وأشرفها وأحكمها، وهو الاستدلال على ذاته بذاته[٦] ، والذي كان ابن سينا(ت٤٢٨هـ) يعتز به ويفتخر بابتكاره، ويعتقد بأنّه أفضل برهان على وجود "واجب الوجود"[٧]، وهناك طائفة

(١)انظر: الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٦ / ١٢٦ ؛ موجز في أصول الدِّين (المُرْسِل، الرَّسول، الرِّسالة)، الصدر، محمد باقر:١٠١ ؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٢ / ٥١٧ ؛ الأنباء الثلاثة الكبرى في الدِّين- وجود الإله، السيستاني، محمد باقر: ٥٥.

(٢) انظر: التَّوحيد، الصدوق: ٧ ؛ الأمالي ، المفيد: ص ١٠٥ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ٦ / ١٢٢.

(٣) الكافي (باب أنّه لا يعرف إلّا به)، الكليني: ١ / ٨٥ ؛ نفحات القرآن، الشيرازي: ٣ / ٨٢ ؛ تفسير كنز الدقائق، المشهدي: ٤ / ٦٦.

(٤) الكافي، الكليني: ١ / ٨٥.

(٥) انظر: الأمالي، المفيد: ١٠٥.

(٦) انظر: أسرار الآيات، صدر المتألهين الشيرازي: ٣٣.

(٧) انظر: الإشارات والتنبيهات، ابن سينا: ٤٨٥ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٨٧ وما بعدها.

من آيات المفاتيح التفسيريّة ناظرة إلى هذا البرهان.

فدَلالة الذات على الذات بمعنى: أنّ الخالق سبحانه وتعالى لمّا خلق الخلق بفعل ذاته المقدسة، أصبح الخلقُ أدلّاءً على ذاته، عن طريق ما أودعه فيهم من بديع الصُّنع، وإحكام الإيجاد، وعجائب التكوين، فتكون الذات بواسطة فعلها قد دلَّت على نفس الذَّات، ولعله إلى هذا المعنى يشير الحديث القدسي: "كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أنْ أُعرف، فخلقتُ الخلق لكي أُعرف"(١)، أو أنَّ دَلالة الذَّات على الذات بمعنى: أنّه سبحانه وتعالى ظاهرٌ بنفسه، وكل ظهورٍ لغيره لا بد أن ينتهي إليه، فذاته سبحانه وتعالى ظاهرةٌ بذاته، بخلاف غيره من المخلوقات؛ فإنّ ظهورها لا يكون إلّا بغيرها، ويمكن استفادة إشارات واضحة إلى هذا الأمر من دعاء الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام، ومناجاته يوم عرفة مع ربّه؛ إذ يقول: "أَيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ"(٢).

وهذا وجدان العبد إياه سبحانه وتعالى وجدانًا لائقًا بذاته المقدسة، وبالاستناد إلى القرآن الكريم يتبيّن أنّ هذه المعرفة حصلت لكلِّ إنسانٍ في عوالم سابقة واقعة قبل خِلقة أبدانهم من أجزاء التراب، المعبَّر عنها في الروايات المباركات بالذّر؛ لكون بدن الإنسان فيها من جهة الصغر كالذَّرِّ أو أصغر، المشارإليها بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[سورة الأعراف : ١٧٣]، وقبل ذلك في عالم الارواح والأظلة والاشباح، المخلوقة قبل الأبدان الذريّة، فعرَّفهم نفسه سبحانه وتعالى في تلك النشآت مرارًا، معرفةً جليّةً، عبّر عنها بالرؤية بالبصيرة(٣).

(١) الكلمات المكنونة، الفيض الكاشاني: ٣٥ ؛ الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة، الحر العاملي، محمد بن الحسن: ٢٨٤.

(٢) انظر: معاني الأخبار، الصدوق: ٣٥ ؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٥ / ٤٥٠ ؛ نفحات القرآن، الشيرازي: ١ / ٥١ ؛ مفاهين القرآن، السبحاني: ١ / ٣٩.

(٣) انظر: تنبيهات حول المبدأ والمعاد، حسن علي مُروارید: ١٥٥.

إنّ هذا الوجدان الفطريّ يمكن أن يدرك نوعين من الحقائق: فطرة المعرفة، وفطرة تمييز الخير من الشر، وتسمى الأولى بالوجدان التَّوحيديّ، والثانية بالوجدان الأخلاقيّ:

الوجدان التَّوحيديّ: هو إدراك جميع الشعوب والأمم -من أي طبقةٍ كانوا-بفطرتهم الطبيعية ووجدانهم الباطني أنّ هناك قوة لا محدودة وقدرة عظيمة غير خاضعة للتغيرات تسيطر على هذا الكون، وتلك الحقيقة المجهولة التي يدركها كل إنسان هي الله سبحانه وتعالى، وتلك القوة المدركة الموجودة في باطن كل فرد، والتي تدلّنا على هذه الحقيقة هي "الوجدان التَّوحيديّ"[١].

والوجدان الأخلاقيّ: هو عبارة عن القوة المدركة المودَّعة في باطن كل فرد، والتي تميز الخير من الشر، بمعنى أنّه يوجد في باطن جميع الأفراد من مختلف الشعوب والأقوام "الآسيويين، والأوربيين الأفريقيين والأمريكان، البيض، والسود، الرجال والنساء، المؤمنين والملحدين" قوة مدركة مستترة يستطيعون بها إدراك كثير الأمور الصالحة والفاسدة من دون حاجة إلى معلمٍ أو مربٍّ، أو كتاب أو مدرسة، وهذه القوة المدركة تسمى بـ" بالوجدان الأخلاقيّ"[٢].

والوجدان التَّوحيدي والوجدان الأخلاقيّ يُمثِّلان -من وجهة نظر الدِّين والعلم- دعامتين أساسيَّتين للتربيّة الانسانيّة السليمة، فإنّ دعوات الأنبياء اعتمدت على هذين الأساسين القويين بمعونة العقل فالدِّين يستند إلى الفطرة في باطن الانسان، وإنّ (العَرض) الدِّيني الذي كان يصدر من قبل الأنبياء ﷺ كان في مقابل (الطلب) الطبيعي عند النّاس؛ ولهذا السبب فإنَّ الدِّين استقام، وأرسى قواعده على الرغم من جميع الموانع والمشاكل التي لاقاها في طريقه[٣].

والملفت للنّظر أنّ المعرفة الإنسانيّة تعتمد وبشكلٍ عامّ على المعرفة الفطريّة الارتكازيّة؛ فإنّ كلّ إنسانٍ ينطلق في أيّ تصرُّفٍ فردي ّأو أسريّ ، أو اجتماعيّ ، أو اقتصاديّ أو غيرها

(١) انظر: الطفل بين الوراثة والتربيّة، الفلسفي، محمد تقي: ١ / ٢٢٩-٢٣٠.
(٢) انظر: الطفل بين الوراثة والتربيّة، الفلسفي، محمد تقي: ١ / ٢٣٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ١ / ٢٣٦.

من مبادئ يُذعِن لها، وينبعث في تصّرفه منها، فإنّ تلك المبادئ حاضرة في نفسه في مرحلة اللاوعي ، أو في مرحلة الوعي الإجماليّ، بمعنى: أنّه سواء يشعر بها أو لا يشعر بها فإنّها معجونة بفطرة البشر عجنًا، فإذا هو منها وإذا هي منه، وجزء من كيانه.

بما تقدّم ظهر أنّ منشأ هذه المعرفة الفطريّة من اللهّ سبحانه وتعالى، وليس للعباد فيها صنعٌ، وأنّ هذه المعرفة هي المُحَقِقَة لموضوع العهد والميثاق الذي أشار إليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الحديد : ٨].

المطلب الثالث: "التَّوحيد الفطريّ"، أساس التشريع الإلهيّ:

إنّ هذه الخطوة هي الأولى في كشف معارف القرآن الكريم، وتبصُّر الإنسان بالحياة وحقيقتها وغاياتها؛ ولأنّ وجود الله سبحانه وتعالى هو الأساس الأوّل للدين، فما من رسول بعثه الله سبحانه وتعالى إلّا وجعل رأس دعوته "التَّوحيد" الذي هو لُبابُ الدِّين وَرُوحُهُ، وحين نستعرض قصص القرآن الكريم كله وخاصّةً سورة الأعراف ، وسورة هود نجد أنَّ كلّ نبي ابتدأ خطاب قومه بقوله:﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[سورة الأعراف: ٥٩]، نعم عندما يذكر القرآن الكريم قصص نهضة الأنبياءﷺ؛ فإنّه يؤكد في موضوعاتٍ عديدة على أنَّ الرسالة الأصليّة للأنبياءﷺ تتمثل بإزالة آثار الشرك والوثنيّة: "وليس إثبات وجود الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ هذا الموضوع مخبَّأٌ في أعماق طبيعة كل إنسان"[(١)]، فقد وردت جملة: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ﴾، أو﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، في كلام الكثير من الأنبياءﷺ في القرآن الكريم، وهي عبارات تفيد نفي الأصنام ، وليس اثبات وجود الله سبحانه وتعالى كما جاء في دعوة خاتمهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[سورة هود : ٢][(٢)].

ولّما كان وجود الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الأوّلى للدين، فإنّ الدِّين هو صاحب الدور الأساس في حل المشكلات الاجتماعيّة، عن طريق تجنيد الدافع الذاتي لحساب

(١) نفحات القرآن، الشيرازي: ٢ / ٣٩.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ٢ / ٣٩.

المصلحة العامّة؛ وبهذا نعرف أنَّ الدِّين حاجة فطريّة للإنسانية؛ لأنّ الفطرة ما دامت هي أساس الدوافع الذاتيّة التي نبعت منها المشكلة فلابد أنْ تكون قد جُهِّزت بإمكانات لحل المشكلة أيضًا، لئلا يشذ الانسان عن سائر الكائنات التي زودت فطرتها جميعًا بالإمكانات التي تسوق كل كائن إلى كماله الخاص، وليست تلك الامكانات التي تملكها الفكرة الانسانيّة لحل المشكلة إلا غريزة التدين والاستعداد الطبيعي لربط الحياة بالدِّين وصوغها في إطاره العام[1].

وبيان هذا التقرير يظهر أنّ الفطرة الإنسانيّة فيها جانبان:

الأوّل: أنّ الفطرة الإنسانيّة من ناحية تملي على الإنسان دوافعه الذاتيّة، التي تنبع منها المشكلة الاجتماعيّة الكبرى في حياة الانسان، أي: مشكلة التناقض بين تلك الدوافع، والمصالح الحقيقيّة العامّة للمجتمع الانساني.

والآخر: أنّ الفطرة الإنسانيّة من ناحية أخرى تزوّد الانسان بإمكانيّة حل المشكلة؛ وذلك عن طريق الميل الطبيعي إلى التديّن الفطريّ، وتحكيم الدِّين في الحياة بالشكل الذي يوفق بين المصالح العامّة والدوافع الذاتية ؛ وبهذا أتمت الفطرة وظيفتها في هداية الانسان إلى كماله، فلو بقيت تثير المشكلة ولا تمون الطبيعة الانسانيّة بحلِّها، لكان معنى هذا أنَّ الكائن الانساني يبقى قيد المشكلة، عاجزًا عن حلِّها، مسوقًا بحكم فطرته إلى شرورها ومضاعفاتها، وهذا ما قرره الإسلام بكل وضوح في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم : ٣٠][2]، قَالَ الزَّجَّاجُ: "فِطْرَتَ" منصُوبٌ، بمعنَى: اتَّبِعْ فِطرةَ اللهَّ سبحانه وتعالى؛ لِأَنَّ مَعْنَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾، أي: اتَّبِعِ الدِّينَ الحنيفَ، واتبع فطرة الله سبحانه وتعالى[3]، ومعنى فطرة الله: خِلْقَةَ اللهَّ سبحانه وتعالى التي خلق عليها البشرَ قاطبةً.

(١) انظر: اقتصادنا، الصدر، محمد باقر: ٣٢٦.
(٢) انظر: اقتصادنا، الصدر، محمد باقر: ٣٢٧.
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: ٤ / ١٨٤.

المبحث الثاني: المعرفة الاستدلاليّة:

القرآن الكريم ليس كتاب موعظةٍ وكتاب هدايةٍ فطريّة فحسب، بل كتاب استدلالٍ أيضًا، فيطرح كلامًا علميًّا استدلاليًّا بأدلةٍ دامغةٍ، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٢]، وهذا استدلال على أنّ التعدد في خلق السموات والأرض يقود إلى الفشل والفساد، ويقول القرآن الكريم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ سورة [الطور : ٣٥] وهذا استدلال علميٌّ آخر، ويقول: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[سورة يس : ٧٨ -٧٩]، ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الواقعة : ٥٨-٥٩]، وهذه كلها استدلالات تصدم الفطرة وتحركها نحو المعرفة ، وقد ذكرنا في المباحث السابقة أنّ هناك طريقين لإثبات وجود اللهّ سبحانه وتعالى:

الأوّل: طريق الفطرة الذي تقدّم بيانه، والذي تعد آياته هي المفاتيح التفسيريّة لهذا المبحث.

والآخر: طريق الاستدلال، ونستعرض في هذا المبحث بعض "آيات الأدلّة العقليّة والعلميّة" الواردة في القرآن الكريم لإثبات وجود اللهّ سبحانه وتعالى، والهدف من هذا البحث هو إبراز آيات المفاتيح التفسيريّة في التوحيد الاستدلالي باعتبارها الأدلّة التي تعرّض لها القرآن الكريم واستدلّ بها لإثبات الصانع، فينبغي أنْ نختار الأهم من أبحاث المفسّرين، ونبيّن وجهة نظرنا بصورة استدلاليّة موجزة.

والتَّوحيد الاستدلاليّ: هو أنْ يجد المرء طريقه إلى معرفة اللهّ سبحانه وتعالى عبر الاستدلال، وإقامة البراهين العقليّة والفلسفيّة، فلا يكون دليله في هذا السبيل، إلاّ تلك البراهين ليس إلاّ[1].

وعليه يكون البحث في هذا المبحث في آيات المفاتيح التفسيريّة في التَّوحيد الاستدلاليّ

(١) انظر: مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ٥٠.

كآية " أفي الله شك " ، وآيات الآفاق والأنفس، وآيات برهان الصديقين إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: آية ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ وأثرها في بيان التَّوحيد الاستدلالي:

لَمَّا كانت آيات أصول التَّوحيد بمثابة الآيات الرئيسة في القرآن الكريم، فإنّ جرس القرآن الكريم يقرع الأفئدة ، والعقول بآيةٍ عظيمةٍ صريحةٍ من آيات المفاتيح التفسيريّة ، وبيان وظيفتها في الكشف عن التَّوحيد الاستدلالي في معارف القرآن الكريم: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة إبراهيم : ١٠]؛ إذ إنّ في الآية الكريمة استِفهَامٌ عَلَى سَبِيلِ الإِنكَارِ، أفاد منه الزمخشريّ: أَنَّ هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ أُدْخِلَتْ عَلَى الظَّرْفِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ فِي الشك، إِنَّمَا هُوَ فِي أَنَّ وُجُودَ اللهِ سبحانه وتَعَالَى لَا يَحْتَمِلُ الشَّكَّ[1]، بمعنى: أنّ أثر الآية الكريمة يدلّ على بيان المعارف الاستدلاليّة في القرآن الكريم لوجود الله سبحانه وتعالى.

وأفاد الطباطبائي بأنّ قول الأنبياء والرسل عليهم السلام على ما حكى عنهم القرآن الكريم: على توحيد الربوبيّة (المتضمّن توحيد الإلهيّة) ؛ إذ لو سيق لمجرد الإنكار على الكفار من غير إشارة إلى برهانٍ لم يكن حاجة إلى ذكر الوصف ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ففي ذكره دَلالةٌ على أنّه مزيل كل شك وريب عنه تعالى[2].

وبهذا يتبيّنُ أنَّ القرآن الكريم يستند على بيان معارفه بآيةٍ من أبرز آيات المفاتيح التفسيريّة؛ لإثبات وجود الخالق وصفاته ، بنظام الوجود الدَّال على التَّوحيد الاستدلالي: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة إبراهيم : ١٠] ، ونحن نعلم أنّه ليس هناك أوضح من دليل خلق السّماوات والأرض لمعرفة الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ هذا النظام العجيب مليء بالأسرار في كلّ زواياه، وينادي بلسان حاله: ليس هناك من له القدرة على هذه الهندسة إلاّ القادر الحكيم والعالم المطلق، وما أكثر العجائب في القرآن؟ ألا ترون أمر لقمان وهدايته في نفسه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ

(١) انظر : الكشاف: ٢ / ٥٤٢.
(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٢ / ٩.

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان : ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[سورة غافر : ٢٨]، فكلّ بحوث معرفة الله سبحانه وتعالى والتَّوحيد الاستدلاليّ في القرآن الكريم، التي وردت بصيغة الاستفهام الإنكاري، أشارت إليها هذه الآية الكريمة: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، الآية التي لها الحاكميّة العليا على باقي الآيات التي تتحدَّث عن التَّوحيد الاستدلاليّ في القرآن الكريم؛ لذا فإنّها تعد من آيات المفاتيح التفسيريّة، ووظيفتها أنّها الآية الأم ، أو الأصل في رجوع باقي الآيات -ذات المعنى التفسيريّ- إليها في الكشف عن التَّوحيد الاستدلاليّ في معارف القرآن الكريم.

وقد يلحظ المتدبِّر في القرآن الكريم أنَّ الأنبياء والرسل، لم يأتوا بالآيات المعجزة لإثبات شيء من معارف المبدأ والمعاد مما يناله العقل كالتَّوحيد والبعث وأمثالها ، فإنّ من مميزات القرآن الكريم منطقه المميّز في العقلانيّة؛ إذ يؤكد دومًا على متابعة المنطق والعقل، ويُحفِّز تفكير الإنسان في هذا الاتجاه[2]، وإنّما اكتفوا في ذلك بحجَّة العقل (الذي يتضمَّن نوعًا من المعرفة الفطريّة العقليّة) والمخاطبة عن طريق النظر والاستدلال (وهو النوع الآخر من المعرفة –وقد تكون أحيانًا المعرفة الحسيّة) وإنّما سُئلوا المعجزة وأتوا بها؛ لإثبات رسالتهم وتحقيق دعواهم؛ وذلك أنّهم ادَّعوا الرسالة من الله سبحانه وتعالى بالوحي، وأنّه بتكليمٍ إلهيٍّ، أو نزول ملك ونحو ذلك، وهذا شيء خارق للعادة في نفسه من غير سنخ الإدراكات الظاهرة والباطنة التي يعرفها عامّة النّاس، ويجدونها من أنفسهم، مما يفضي ذلك إلى أنَّ العقل الصريح لا يرى تلازمًا بين حقيّة ما أتى به الأنبياء والرسل عليهم السلام، من معارف المبدأ والمعاد، وبين صدور أمر يخرق العادة عنهم[3]، بمعنى: أنَّ المعرفة الفطريّة المودَّعة في الإنسان هي البرهان الأعظم على وجود معارف المبدأ والمعاد، لا بعثة

(١) انظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل: ٧ / ٤٦٨.
(٢) انظر: أفي الله شك، السيستاني، مَحمد باقر: ٩.
(٣) انظر: الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٤٤.

الأنبياءعليهم السلام المشتملة على اللطف الإلهيّ[1].

بل إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يأمر عباده في كتابه -ولا في آية واحدة- أن يؤمنوا به أو بشيءٍ مما هو من عنده، أو يسلكوا سبيلًا على العمياء وهم لا يشعرون، حتى أنّه سبحانه وتعالى علَّل الشرائع والأحكام التي جعلها لهم مما لا سبيل للعقل إلا تفاصيل ملاكاته بأمور تجري مجرى الاحتجاجات كقوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة : ١٨٣]، وقوله في آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦]، وبالنتيجة فإنّ الله تعالى:﴿يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[سورة البقرة : ٢٢٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الثاني: آيات الآفاق والأنفس وأثرها في بيان التَّوحيد الاستدلاليّ:

إنّ آيات الآفاق والأنفس تبيّن أنَّ هناك طريقان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى:

الأوّل: التأمّل والتفكّر في آثار الله سبحانه وتعالى، مثل: خلق أجهزة جسم الإنسان، والنظام المحيِّر الذي يتحكَّم بالمخ، وحركات القلب المنتظمة، والشرايين والعظام والخلايا، وانعقاد النطفة، ونمو الجنين في ظلمات الرحم، ثمّ أسرار الروح العجيبة، إنّ كلّ ذلك هي أدلة ملموسة لمعرفة الإله الخالق العظيم، وتلك "الآيات الأنفسيّة"، وهو أجود الطرق بعد طريق الصدِّيقين؛ لأنَّ المسلك هاهنا عين الطالب، وفي طريقهم عين المطلوب.

الآخر: التأمّل في الآيات الخارجيّة الموجودة في الأرض والسماء والثوابت والسيارات من الكواكب، وخلق

الشمس والقمر والنجوم، والنظام الدَّقيق الذي يحكمها، وخلق أنواع الأحياء

(١) استدلّ الإماميةُ بقاعدة (اللطف الإلهي) على ضرورة بعث الأنبياء، ومفادها: أنَّ المكلّف يكون -مع هذه القاعدة- أقرب إلى فعل الطاعات، وأبعد من فعل المعصيةِ، وقد ثبت أنّ أفعاله سبحانه وتعالى معلّلة بالأغراض، وأنّ الأغراض عائدةٌ إلى عبيده، وهي منحصرةٌ فيما فيه مصالحُهم ودفع مفاسدهم؛ وذلك إمّا في معاشهم أو معادهم. ظ: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ص٣٠٣.

والنباتات والجبال والبحار وما فيها من عجائب وأسرار لا تعد ولا تحصى، وما في عالم الأحياء من عجائب لا تنتهي، وتلك تسمّى "الآيات الآفاقيّة"، إنّ كلّ هذه الآيات هي دليل على التَّوحيد وعلى وجود الله سبحانه وتعالى[1].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الطريقين في الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سورة فصلت : ٥٣]، وتعد هذه الآية الكريمة من آيات التوحيد الاستدلالي، ومعرفة الله سبحانه وتعالى؛ إذ إنَّ رأس المعارف معرفة الحقّ سبحانه وتعالى؛ لأَنّ العلَّة الغائيّة من معرفة الآفاق والأنفس معرفته سبحانه وتعالى لا غير؛ إذ إنّ الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى إنّما يتحققّ عبر الآيات الآفاقيّة والآيات الأنفسيّة، بمعنى: أنّه سنريهم حججنا ودلائلنا على ما ندعوهم إليه من التَّوحيد ، وما يتبعه في آفاق العالم وأقطار السماء والأرض والشمس والقمر ، والنجوم والجبال ، والبحار والأشجار والدواب، وفي أنفسهم جعل كل شئ لما يصلح له من آلات الغذاء ومخارج الأنفاس، ومجاري الدم، وموضع العقل والفكر، وسبب الافهام، وآلات الكلام، وما فيها من لطايف الصنعة وودايع الحكمة حتى يظهر لهم أنه الحق[2].

وفي الآية الكريمة يُسلطُ الأنظار على آياته قاطبةً في عالم الخلق بأسرِه[3]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات : ٢١].مع أنّ هذه العمليّة والإراءة مستمرّةٌ ؛ لأنّ الآية الكريمة تقول: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، فعل مضارع يدل على الاستمرار، وإذا عاش الإنسان مئات الآلاف من السنين، فسوف تنكشف لهُ في كلّ زمانٍ علامات وآيات إلهيّة جديدة؛ لأنّ أسرار العالم لا تنتهي[4].

(١) انظر: أسرار الآيات، صدر المتألهين الشيرازي: ٣٤ ؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الشيرازي: ١٤ / ١٣٩ ، ١٥ / ٤٤٤ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٨٧ وما بعدها.
(٢) انظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ٩ / ١٣٣ ؛ التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٥ / ٣٧٣.
(٣) انظر: نفحات القرآن، الشيرازي: ٢ / ٣٦٢ وما بعدها.
(٤) الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: ١٥ / ٤٤٤.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في هذا المنهج قد مدح اللهّ سبحانه وتعالى النّاظرين في خلق السماوات والأرض، وأثنى على المتفكّرين في آثار صنعه وجوده، وساحة عظمته، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٥][1].

وكيف كان فإنّ هذه الآيات الكريمة ناظرة إلى دلائل وجود اللهّ سبحانه وتعالى في الآفاق، وهي: الآياتُ الفلكيَّةُ والكوكبيَّةُ، وآياتُ اللَّيلِ والنَّهار، وآياتُ الأَضواءِ والإِضلَالِ والظُّلُماتِ، وَآيَاتُ عَالَمِ العناصِرِ الأَربَعَةِ وَآياتُ المَوَالِيدِ الثَّلَاثَةِ[2]، والأنفس: المَرَادُ منهَا الدَّلَائِلُ المأخُوذَةُ مِنْ كيفِيَّةِ تَكَوُّنِ الأَجِنَّةِ فِي ظُلَمَاتِ الأَرحامِ وحدُوثِ الأَعضَاءِ العجيبةِ والتَّركيباتِ الغريبَةِ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات : ٢١]؛ إذ يُستدلُّ بها على المسائل التوحيديّة، بمعنى: أنّه يكون الاستدلال أعم من إثبات وجود اللهّ سبحانه وتعالى، أو توحيد ذاته، وصفاته[3].

والملفت للنّظر أنّ النّفس جاءت في الآيات الكريمة معطوفة على آيات الأرض وآيات الآفاق؛ إذ تفيد هنا معنى التسوية والمعادلة بين الآيات في الجانبين، فكأنّ آيات النّفس تعادل في دقّتها وعظمتها آيات الآفاق في كثرتها، وتنوّعها، كما تعادل آيات الأرض في نفعها وضررها.

المطلب الثالث: الاستدلال بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾:

بما تقدّم من البيان تم الاستدلال بصدر الآية الكريمة على وجوده سبحانه وتعالى عن طريق آياته الآفاقيّة، والأنفسيّة، ويبقي الكلام في هذا المطلب في ذيل الآية، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وهل هناك

(١) انظر: نفحات القرآن، الشيرازي: ١ / ١١٥ وما بعدها.

(٢) العناصر الأربعة هي: (النّار، الأرض، الهواء، الماء)، والمقصود من المواليد الثلاثة: المعدن، والنّبات، والحيوان. انظر: البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة، محمد جعفر الاسترآبادي: ١ / ٣١٠.

(٣) انظر: الإشارات والتنبيهات، ابن سينا: ٤٨٥ ؛ مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٧ / ٥٧٠ ؛ الأسفار، صدر المتألهين الشيرازي: ٦ / ٢٦ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٨٧.

شهادة أفضل وأعظم من هذه التي كتبت بخط القدرة التكوينيّة على ناصية جميع الكائنات، على أوراق الشجر، في الأوراد والزهور، وبين طبقات المخ العجيبة، وعلى الأغشية الرقيقة للعين، وفي آفاق السماء وبواطن الأرض، وفي كلّ شيء من الوجود تجد أثرًا يدلُّ على الخالق، وشهادة تكوينيّة على وحدانيته وقدرته وحكمته وعلمه سبحانه وتعالى[1].

وقد أشار بعض حكماء الإسلام إلى أنّ مطلع الآية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، يتضمّن إشارة إلى دليل "النظم" والعلة والمعلول، كما نستدل بنزول المطر وصوت الرعد والبرق على وجود السحب الداكنة، على حين اعتبر نهاية الآية في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، إشارة إلى دليل "الصديقين"، فإذا اعتبرنا حال الوجود فشهد به الوجود؛ إذ هووجوده، وهو يشهد بعد ذلك على سائر ما بعده في الواجب فيكون أوثق وأشرف؛ وذلك لأنّ أولى البراهين بإعطاء اليقين هو الاستدلال بالعلة على المعلول، أي: مرتبة الاستدلالات بآيات الآفاق والأنفس على وجود الحق، ومرتبة الاستشهاد بالحق على كل شيء بإزاء الطريقين[2].

من هنا يفيد صدر المتألهين الشيرازي بأنَّ الطرق إلى الله سبحانه وتعالى كثيرة؛ لأنّه ذو فضائل وجهات كثيرة: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة : ١٤٨]، لكن بعضها أوثق وأشرف وأنور من بعض، وأشدّ البراهين وأشرفها إليه هو الذي لا يكون في الوسط في البرهان غيره بالحقيقة، فيكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود وهو سبيل "الصديقين"؛ لأنه البرهان على كل شيء، وهذه سبيل جميع الأنبياء والصديقين فهؤلاء هم الذين يستشهدون به سبحانه وتعالى عليه: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨] ثم يستشهدون بذاته سبحانه وتعالى على صفاته، وبصفاته على

(١) انظر: الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الشيرازي: ١٥ / ٤٤٦ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٨٧.

(٢) انظر: الإشارات والتنبيهات، ابن سينا: ٣ / ٧٠ ؛ الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، صدر المتألهين الشيرازي: ٤٦ ؛ الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، الشيرازي: ١٥ / ٤٤٧ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٩١.

أفعاله وآثاره واحدًا بعد واحدٍ، وأنّ له خلقًا ومخلوقات بهذه الصفة أو تلك[1].

واستنادًا إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سورة فصلت : ٥٣] فإنّه يكفي فيه إثبات ذاته المقدّسة وأنْه يكون شاهدًا وحاضرًا في كلّ مكان، فكلّ موجودٍ ممكن نجد إلى جانبه ذات واجب الوجود، وحيثما نظرنا كان الوجود المطلق ظاهرًا، وكلّ ما وقع عليه نظرنا وجدنا وجهه فيه، ونحسّ بخضوع العظماء لعظمته، وهو مصداق حديث مولانا أمير المؤمنين عليه السلام "ما رأَيتُ شَيئًا إلّا وَرَأيتُ اللهَ قَبلَهُ وَبَعدَهُ وَمَعَهُ"[2]، ومن الواضح أنَّ دَلالة الرواية مطابقة لدَلالة الآية الكريمة، وفي تفسير الميزان أنّ (شهيد) تعني: (مشهود)[3]، وبذلك يكون معنى الآية الكريمة: أو لم يكفِ في تبيّن الحقّ كون ربّك مشهودًا على كلّ شيء؛ إذ ما من شيء إلاّ وهو فقير من جميع جهاته إليه، متعلّقٌ به وهو سبحانه وتعالى قائمٌ به، قاهر فوقه، فهو سبحانه وتعالى معلومٌ لكلّ شيءٍ وإنْ لم يعرفه بعض الأشياء، والنتيجة أنّ الجملة تعني: (أو لم يكفهم أنَّ ربَّك على كلّ شيء شهيد)[4].

عالم الجينات الأمريكي "فرانسيس كولينز" من الإلحاد إلى التّوحيد:

ولقد أشار عالم الجينات الأمريكي البارز "فرانسيس كولينز"، إلى المعنى الذي تقدّم في بيان الآية الكريمة، ففي الوقت الذي كان ملحدًا كان يرى في سنوات عمره الأولى أنّه تمر عليه لحظاتٍ من تجربة من الشوق نحو شيءٍ ما خارج ذاته، وكثيرًا ما كان هذا الشوق موجهًا نحو جمال الطبيعة، وفي ذلك يقول الشيخ السبحاني: "لو أمكن أنْ يشك أحدٌ منّا في

(١) انظر: الأسفار، صدر المتألهين الشيرازي: ٨ / ١٣ – ١٤ ؛ الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، صدر المتألهين الشيرازي: ٤٦ ؛ نفحات القرآن، الشيرازي: ٣ / ٨٦ ؛ مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٩١.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي، محمد باقر: ١٠ / ٣٩١ ؛ بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر: ٧٠ / ٢٢.

(٣) انظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٧ / ٢٠٨.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٧ / ١٤٠ ؛ الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ١٧ / ٢٠٨ ؛ نفحات القرآن، الشيرازي: ٣ / ٧٣ وما بعدها.

شيءٍ، فإنّه لا يمكنه أنْ يشكَّ أبدًا في أنّ هناك -خارج أذهاننا- واقعًا موجودًا وعالمًا كائنًا قائمًا"[١].

إلى أنْ أصبح "فرانسيس كولينز"، طالبًا في كلية الطب، وذهلته ابداع شفرة الحمض النووي للإنسان، فكان يرى أنّ كل ماهو موجودٌ في الكون المكون من ذراتٍ وجزيئاتٍ وفق مبادئ رياضيّة فإنّه في حركة وحيّز ونشاط[٢]، وفي عام ٢٠٠٦ م قام "كولينز" بتأليف كتابه الأكثر مبيعًا "لغة الإله" The Language of God، والذي عرض فيه وجهة نظره بخصوص التوفيق بين الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتصديق بالعلم، ففي الفصل الثالث يُكلِّمنا "كولينز" عن كون قوانين الفيزياء - مثل الشفرة الوراثيّة - تشير إلى وجود الله سبحانه وتعالى[٣]، وأنَّ الانفجار العظيم وحقيقة أنّ هذا الكون له بداية تتطلب تفسيرًا ميتافيزيقيًّا يتجاوز أسوار المادة، وأن الضبط الدقيق في الانفجار العظيم والذي أدّى إلى خروج الكون بهذه الصورة يشير إلى الخالق الذي قام بضبط ومعايرة إعدادات لحظة الانفجار العظيم، ثم يُصرّح بأنّ الانفجار العظيم يتطلب تفسيرًا إلهيًّا لوجوده، وأنّه لا يمكن أن يتصور المرء خلاف ذلك[٤]، ثم يتكلم عن المبدأ الإنساني ويجيب عن الاعتراضات الواردة عليه[٥].

هذه بعض البراهين التي استعملها كولينز للدَلالة على صحة الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، ومن أراد الوقوف على قصّته يرجع إلى كتابه "لغة الإله" فإنّها مشوقة وفيها لذة في التوحيد بطعم العلم والمعرفة.

وبتقرير ما تقدّم يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إشارة إلى "برهان الصدِّيقين" الذي يبدأ بحثه ودراسته في الوجود، فمنه إليه سبحانه وتعالى وإلى صفاته وأفعاله، ثم يختمه في الكائنات.

(١) مفاهيم القرآن، السبحاني: ١ / ١٩٧.
(٢) انظر: (لغة الإله- فرانسيس كولينز)، صلاح الفضلي: ٢١.
(٣) انظر: نفسه: ٦٧ وما بعدها.
(٤) انظر: (لغة الإله- فرانسيس كولينز)، ٧٣ وما بعدها.
(٥) انظر: المصدر نفسه: ٨٣ وما بعدها.

الخاتمة ونتائج البحث:

توصّل البحث إلى جملةٍ من الثمراتِ الطيّبةِ أفادها من دراسةِ "المعرفة الفطريّة والمعرفة الاستدلاليّة في القرآن الكريم"، يُمكن إيجازها على النّحو الآتي:

إنّ منشأ المعرفة الفطريّة من اللهّ تعالى، وليس للعباد فيها صنعٌ، وهي المُحَقِقَة لموضوع العهد والميثاق.

إنّ آيات الآفاق والأنفس تبيّن أنَّ هناك طريقان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى:

الأوّل: التأمّل والتفكّر في آثار الله تعالى، مثل: خلق أجهزة جسم الإنسان، والنظام المحيِّر الذي يتحكَّم بالمخ، وحركات القلب المنتظمة، والشرايين والعظام والخلايا، وانعقاد النطفة، ونمو الجنين في ظلمات الرحم، ثمّ أسرار الروح العجيبة، إنّ كلّ ذلك هي أدلة ملموسة لمعرفة الإله الخالق العظيم، وتلك "الآيات الأنفسيّة".

والآخر: التأمّل في الآيات الخارجيّة الموجودة في الأرض والسماء والثوابت والسيارات من الكواكب وخلق الشمس والقمر والنجوم، والنظام الدَّقيق الذي يحكمها، وخلق أنواع الأحياء والنباتات والجبال والبحار وما فيها من عجائب وأسرار لا تعد ولا تحصى، وتلك تسمّى "الآيات الآفاقيّة".

إنّ الوجدان الفطريّ يمكن أن يدرك نوعين من الحقائق: فطرة المعرفة، وفطرة تمييز الخير من الشر، وتسمى الأولى بالوجدان التَّوحيديّ، والثانية بالوجدان الأخلاقيّ: الوجدان التَّوحيديّ: هو إدراك جميع الشعوب والأمم -من أي طبقةٍ كانوا-بفطرتهم الطبيعية ووجدانهم الباطني أنّ هناك قوة لا محدودة وقدرة عظيمة وهذه الحقيقة هي "الوجدان التَّوحيديّ".

الوجدان الأخلاقيّ: هو عبارة عن القوة المدركة المودَّعة في باطن كل فرد، والتي تميز الخير من الشر، بمعنى أنّه يوجد في باطن جميع الأفراد من مختلف الشعوب والأقوام قوة مدركة مستترة يستطيعون بها إدراك كثير الأمور الصالحة والفاسدة وهذه القوة المدركة

تسمى بـ"بالوجدان الأخلاقيّ".

استنادًا إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[سورة فصلت : ٥٣] فإنّه يكفي فيه إثبات ذاته المقدّسة، وأنْه يكون شاهدًا وحاضرًا في كلّ مكان، فكلّ موجودٍ ممكن نجد إلى جانبه ذات واجب الوجود، وحيثما نظرنا كان الوجود المطلق ظاهرًا، وكلّ ما وقع عليه نظرنا وجدنا وجهه فيه، ونحسّ بخضوع العظماء لعظمته.

لقد أشار عالم الجينات الأمريكي البارز "فرانسيس كولينز" إلى شفرة الحمض النووي للإنسان فكان يرى أنّ كل ما هو موجودٌ في الكون المكون من ذراتٍ وجزيئاتٍ وفق مبادئ رياضيّة فإنّه في حركة وحيّز ونشاط، حتى قام بتأليف كتابه الأكثر مبيعًا "لغة الإله" The Language of God والذي عرض فيه وجهة نظره بخصوص التوفيق بين الإيمان بالله تعالى والتصديق بالعلم فيُكلِّمنا "كولينز" عن كون قوانين الفيزياء – مثل الشفرة الوراثيّة– تشير إلى وجود الله تعالى، وأنَّ الانفجار العظيم وحقيقة أنّ هذا الكون له بداية تتطلب تفسيرًا ميتافيزيقيًّا يتجاوز أسوار المادة، ثم يُصرّح بأنّ الانفجار العظيم يتطلب تفسيرًا إلهيًّا لوجوده، وأنّه لا يمكن أن يَتصور المرء خلاف ذلك.

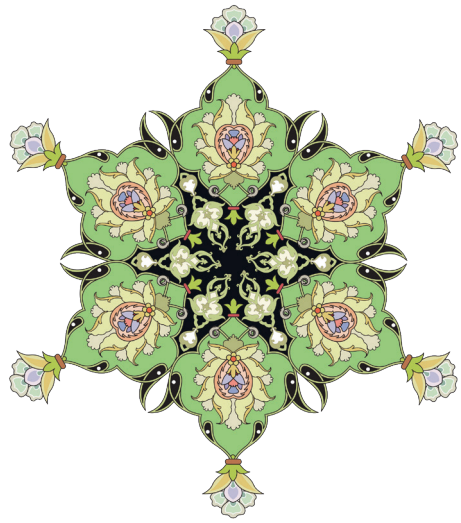

المصادر و المراجع

١. القرآن الكريم

٢. أسرار الآيات وأنوار البينات ، الشيرازي (نفسه)، مكان النشر –تهران، الناشر: انجمن اسلامى حكمت وفلسفه ايران، تاريخ النشر: ١٩٨١م.

٣. الإشارات والتنبيهات في علم المنطق، شرح الخواجه نصير الدين الطوسي، وشرح الشرح العلامة قطب الدين محمد بن محمد ابي جعفر الرازي، ابن سينا، ابي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن البلخي البخاري (ت٤٢٨هـ)،قم، نشر، البلاغة، ط١، ١٣٨٣هـ .

٤. أفي الله شك ، السيستانيّ ، محاضرة ألقيت على جمع من طلبة الجامعات بتأريخ ٨ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ في النجف الأشرف.

٥. اقتصادنا، الصدر ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١٤، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٦. الأمالي ، المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالله العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ) تحقيق، علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية–قم المقدسة المطبعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي، ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم، مطبعة الأميرة بيروت لبنان ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨. الأنباءُ الثلاثةُ الكبرى في الدِّين ، السيستانيّ، محمد باقر، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٣٦) لسنة ٢٠١٨م، ط١، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

٩. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ)، تعليق، علي النّمازي الشاهرودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٠. البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة ، الاسترآبادي، محمد جعفر، المعروف شريعتمدار، مركزالأبحاث والدراسات الاسلاميّة، قسم إحياء التراث الاسلاميّ، مطبعة مكتب الإعلام الاسلاميّ، ط١، ١٤٢٤هـ.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس ، الزَّبيدي، أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق، د. عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، ط١ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٢. تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري، أبي نصر اسماعيل ابن حمّاد (ت٣٩٨هـ) ، تحقيق محمد محمد تامردار الحديث - القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٣. التبيان في تفسير القرآن ، الطّوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي تصحيح وتدقيق، مركز الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، للتحقيق والدراسات، الاميرة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤. تفسير الصافي ، الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى بن محمود المشهور بلقب الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، مؤسسة الاعلمي - بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٥. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب تحقيق ، المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (من أعلام القرن الثاني عشر)، حسين دركاهي، منشورات مؤسسة شمس الضحى، المطبعة، نكارش، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٦. تنبيهات حول المبدأ والمعاد ، حسن علي مُروارید، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة ط٣، ١٤٣٤هـ.

١٧. التّوحيد ، الصّدوق، أبي جعفر، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت٣٨١هـ)، تحقيق، هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة، بيروت - لبنان الطبعة والسنة بلا.

١٨. جمهرة اللغة ، ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٨٧م.

١٩. الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيَّة ، الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت١١٠٤هـ)، الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، الشيرازي، صدر المتألهين محمد ابن ابراهيم (ت١٠٥٠هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ط٤، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢١. الشواهد الربوبية في المناهج السلوكيّة ، الشيرازي (نفسه)، تعليق وتصحيح، جلال الدين اشتياني، مركز تحقيقات العلوم الاسلامية - طهران، الطبعة والسنة بلا.

٢٢. الطفل بين الوراثة والتربيّة ، الفلسفي، محمد تقي (ت١٣٧٧هـ)، تعريب فاضل الحسيني الميلاني، بلا.

٢٣. الفروق اللغوية ، العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، مؤسسة النّشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٧، ١٤٣٦هـ.

٢٤. الفطرة بوصفها نظريّة أنثروبولوجيّة - رؤية لسجال منهجيّ مع العلوم الإنسانيّة الحديثة: حسين سوزنجي، العتبة العباسيّة المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيّة، https://iicss.iq/?id=40&sid=537.

٢٥. القواعدُ الفطريّةُ العامّة للمعرفةِ الإنسانيّةِ والدِّينيّةِ ، السيستانيّ (نفسه)، قم - دار التفسير، ط١، ١٤٤٠هـ -٢٠١٨م.

٢٦. الكافي ، الكليني، محمد ابن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، تحقيق، قسم احياء التراث، مطبعة دار الحديث - قم ط٣، ١٤٣٤هـ.

٢٧. كتاب العين ، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق، د.عبد الحميد هنداوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٨. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزّمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد (ت٥٣٨هـ)، وضبطه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط٥، ٢٠٠٩م.

٢٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، الحلي، العلامة جمال الدّين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٠. الكلمات المكنونة ، الكاشاني ، تصحيح وتحقيق، علي رضا أصغري، الناشر، مدرسة الشهيد مطهّري، طهران ط١، ١٣٨٧هـ.

٣١. لغة الإله ، فرانسيس كولينز، صلاح الفضلي، فهرسة مكتبة الكويت الوطنية، ط١، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

٣٢. المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق، عبد الحميد هنداوي، الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٣٣. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، المجلسي ، الناشر، دار الكتب الإسلاميّة – تهران، بازارسلطاني ط٣، ١٣٧٥هـ.

٣٤. معاني الأخبار ، الصّدوق ، تحقيق، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط٦، ١٤٣١هـ.

٣٥. معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق، عبد الجليل عبده شلبي، الناشر ،عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٧. مفاتيح الغيب ، الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين(ت٦٠٦هـ)، دار الفكر– بيروت، ط١ ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٣٨. مفاهيم القرآن ، السبحاني، جعفر بن محمد حسين الخياباني التبريزي، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت –لبنان ط١ ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٣٩. المفردات في غريب القرآن ، الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل(٥٠٢هـ)، تحقيق واعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة بلا.

٤٠. موجز في أصول الدِّين (المُرْسِل، الرَّسول، الرِّسالة) ، الصّدر، محمد باقر (ت١٤٠٠هـ)، تحقيق عبد الجبار الرفاعي مكتبة مؤمن قريش، المطبعة، صدر، الناشر، حبيب، ط١، ١٤١٧هـ.

٤١. الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ)، مطبوعات الأندلس العالميّة، بيروت – لبنان ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٤٢. نفحات القرآن ، الشيرازي ، أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، المطبعة، الحيدري، مؤسسة أبي صالح للنشر والثقافة.